النشاط الثقافي في العالم

اعداد : عايدة مطرجي ادريس

الاتحاد السوفياتي

العرب وعلم المنطق واوكتوبر

مع اطلالة اليوبيل الخمسيني لثورة اوكتوبر ، تتدفق أنهار الكتب في الاتحاد السوفياتي ، في استعداد استثنائي للاقاة العيد الكبير الذي ينتظره السوفيات والتقدميون في العالم أجمع .

وكنا قد كتبنا عن « يوبيل اوكتوبر » في عدد اذار من «الاداب» وأشرنا الى حملة دور النشر والكتاب والمثقفين السوفيات العارمة للاقاة ذكرى مرور نصف قرن على اعلان النظام السوفياتي . وفي كل يوم تقريبا يصدر كتاب ، أو كراس ، أو مجلد . وقد صدر في الاونة الاخيرة كتاب قيم يستحق الاشارة اليه ، لقيمته العلمية البالغة، وهو كتاب « تاريخ المنطق » لمؤلفه أ. ماكوفيلسكي .

يحتوي الكتاب مقدمة ضافية ، أو مدخلا الى الموضوع ، مع أربعة عشر فصلا ، تحدثت عن نشأة علم المنطق في الهند والاقطار الشرقية القديمة ، وفي اليونان ما قبل ارسطو ، وعن منطق ارسطو ، وعن منطق ما بعد ارسطو في روما واليونان القديمة ، وعن المنطق في أقطار الشرق الادنى في العصور الوسيطة ، وكذلك عن علم المنطق في أقطار أوروبا في فترات مختلفة . وقد صدر الكتاب عن دار النشر (العلم) ، وهي احدى الدور العلمية الكبرى ، التي تشرف عليها أكاديمية العلوم السوفياتية في موسكو .

والفصل الذي كرس لدراسة علم المنطق في أقطار الشرق الادنى في العصور الوسيطة هو فصل قيم حقا ، ذلك أنه يتحدث بمنتهى الموضوعية عما أضافه العرب والشعوب الاخرى التي اهتمت بالثقافة العربية في الاقطار المجاورة ، من اضافات قيمة لهذا العلم ، الذي لا زال يلقى الاجلال والمتابعة في المدارس العربية ، بما فيها المدارس الدينية عصرية وغير عصرية .

لقد تحدث المؤلف في نحو ٤٥ صفحة من كتابه عن الفلاسفة والمناطقة العرب في المشرق العربي والمغرب العربي ، وفي الاندلس . وقد أشار بجلاء الى ان العرب لم يكونوا ناقلين لتعاليم أرسطو ومبشرين بها في أقطار الشرق ومن ثم في أوروبا التي تناقلت عنهم فحسب ، بل انهم أضافوا تعاليمهم واكتشافاتهم الخاصة بهم . وتحدث المؤلف عن ابن سينا ، والفارابي ، والكندي ، وابن رشد ، وابن باجه ، واخوان الصفا . وقد اهتم ، على نحو خاص ، بالفارابي ، واخوان الصفا ، واجدا فيهم مناطقة شرقيين طوروا تعاليم أرسطو ، وأنشأوا منظومات فلسفية منطقية تستحق الدراسة والتحليل .

واذا أضفنا الى هذا الكتاب ما كتبه غريفوريان ، من ارمينيا السوفياتية ، عن فلسفة شعوب الشرق الادنى في العصور الوسيطة ، وما كتبه العلماء والاختصاصيون السوفيات في الموسوعات الفلسفية ، وفي الموسوعة السوفياتية الكبرى (٥١ مجلدا) ، عن الفلسفة العربية ، يكون لنا مطلق الحق أن نقول ان حضارة العرب القديمة ، وثقافتهم التي لعبت دورا هاما في الثقافة الانسانية ، تلقى دراسة موضوعية منصفة ، وبمستوى ما تستحق ـ في أغلب الاحيان ـ في البلاد السوفياتية .

مسرحية عربية على مسرح الكرملين

هي مسرحية « فاطمة صبري » للكاتب العربي الاستاذ صاحب جمال ، المقيم في الاتحاد السوفياتي منذ زمن . وقد مثلها على مسرح الكرملين (وهو أحد المسارح السوفياتية الرائعة في موسكو ، ويقع مباشرة في مبنى الكرملين الكبير) ، فريق من ممثلي المسرح القازاني الاكاديمي للدراما ، الذي يحمل اسم ع. كمال ، وترجمها الى التترية حسن اورازيكوف . وتتألف المسرحية من ثلاثة فصول ، وهي تحكي نضال العراقيين من أجل التحرر الوطني ، وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة . وقد عرضت على مسرح الكرملين في ٢٦ و ٢٨ ايلول ١٩٦٧ .

وقد لاقى النظارة الموسكوبيون ، بمن فيهم العرب المقيمون هنا لاسباب شتى ، لاقوا المسرحية بمنتهى الترحاب والتقدير . فالحق ان المحتوى والشكل والتكنيك المسرحي ، كل هذا كان في مستوى ما تستحق نضالات الشعب العربي في العراق ، ومستوى ما تستحق ثورة تموز . وقد كان تمثيل هذه المسرحية في موسكو واحدا من اعمال فناني قازان ، في ايام ثقافة وفن الاتحاد الفدرالي الروسي في موسكو (قازان هي عاصمة جمهورية تاتاريا ذات الحكم الذاتي ، الداخلة في نطاق جمهورية روسيا الاتحادية الفدرالية) .

ومن محتوى المسرحية العربية تعرض أم عربية في بغداد هي (فاطمة صبري) وابنها (فرحات) للاعتقال والتعذيب في سنتي ٥٦ ـ ١٩٥٨ ، أيام العدوان على مصر ، ونضال الوطنيين العراقيين من أجل الاطاحة بالنظام الملكي ، ثم اشتعال الثورة في ١٤ تموز .

ومن بعض المآخذ على التمثيل عدم تساوق الديكورات في بعض الاحيان مع المضمون ، وعجز الراقصين عن اداء رقصة عربية كما هي في الواقع . وبالطبع لا يمكن أن يؤخذ على المسرحية كونها سياسية المغزى ، ذلك انها ثورية المضمون ، وتحكي أيام النضال الطويل في العهد الاسود في العراق . ولعل عروضا قادمة للمسرحية تستطيع أن تتغلب على امثال هذه النقائص ، التي لا تشين ـ ولا ينبغي ان يكون ـ او تثلم من قيمة المسرحية ، ومن قيمة تمثيل ممثلين سوفيات لمسرحية عربية في عاصمة السوفيات .

يوبيل اراغون ووفاة موروا

تظهر « الجريدة الادبية » (ليتراتورنيا غازيتا) الموسكوبية اهتمامات بالادب العالمي ، وبالحياة الادبية فيما وراء الحدود ، وعلى الخصوص باوروبا . وللوشائج الوثيقة التي تربط باريس وموسكو أدبيا ، كما هي الحال في حقول أخرى ، قيمة كبيرة فيما تكتبه وما تتابع به الجريدة الادبية انباء باريس الادبية (لقد كتبنا عن ثوب الجريدة القشيب الجديد ، في عدد الاداب ، اذار ١٩٦٧) .

وقد كان لبلوغ الشاعر والكاتب الفرنسي الكبير لوي اراغون السبعين من عمره صدى كبير في الاوساط الادبية السوفياتية . وقد عكست الجريدة الادبية بعض هذا الاهتمام فيما كتبته عن اراغون وخدماته وانجازاته الادبية والفكرية ، وفيما نشرته من رسائل حول ذلك ، كان منها رسالة سكرتارية ادارة اتحاد الكتاب السوفيات الى اراغون التي جاء فيها : « .. لقد كنتم المعبر الرائع لموهبة وثراء الشعب الفرنسي الروحي ، وكنتم كذلك المواصل المعتبر للتقاليد الثورية للثقافة الفرنسية » . ونشر في العدد أشعار لاراغون ، ومقالات عنه، كان اهمها مقالة الكسندر اصباح بعنوان «شاعر الوطن».

أما وفاة اندريه موروا ، الكاتب الفرنسي الكبير ، الذي نعته الاكاديمية العلمية الفرنسية ، وكتبت في نعيه انه قد بلغ المجد ، ومات مخلدا... فقد استحقت من (الجريدة الادبية) السوفياتية اهتماما لا يستهان به . وقد نشرت الجريدة برقية اتحاد الكتاب السوفيات الى سيمون موروا ، التي جاء فيها ان الاتحاد الادبي السوفياتي يبلغ تعازيه القلبية بوفاة ممثل كبير للثقافة الفرنسية ، وكاتب اشتهر بايمانه بالانسانية وثقته بفوزه . ونشرت الجريدة كذلك كلمات عن فن موروا وأمجاده الادبية .

موسكو — جليل كمال الدين

ايطاليا

مورافيا بين الادب والسياسة

***

اجرت الكاتبة الفرنسية « آن كابيل » مقابلة ادبية هامة مع الكاتب الايطالي المعروف البرتو مورافيا اثارت فيها معه مختلف الشؤون الادبية المتعلقة بانتاجه .. وفيما يلي ترجمة كاملة لهذه المقابلة (1) :

« بعد ثلاثين الف سنة لن يكون هناك ، على اي حال ، لغة فرنسية او ايطالية او انكليزية او المانية ، ولن يكون هناك ادب على الاطلاق ».

هذه ليست فكرة متشائمة وانما هي تقرير واقع . فالذي يقولها هو البرتو مورافيا الذي يجلس كل صباح بالرغم من ذلك ، امام طاولة عمله ليكتب من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة ، وذلك منذ اثنين واربعين عاما . وهو الان في الستين من عمره .

البرتو مورافيا : ان اديبا شيخا هو شخص لم يتوقف قط عن الكتابة خلال اثنين واربعين عاما ، الا وقت الحرب ... وعندما اتوقف عن الكتابة اتوجه الى شاطىء البحر . اني احتاج الى الشمس والرمل والبحر . وانا اكره البرد . واحب الحركة والكائنات والحياة . وانا لا اكتب ابدا بعد انتصاف النهار . وعندما اترك طاولتي اتوقف ايضا عن التفكير في الكتابة . انا لا اكتب ابدا « في رأسي » ولكن الورقة البيضاء هي التي تقود العمل . هذا يكفي . وبعد ذلك اعيش واقابل الناس .

آن كابيل : من خلال هذه اللهجة التي تحاول ان تكون غير عاطفية، نجد على الرغم من ذلك نوعا من الانتظار ، نوعا من الامل في امكانية حدوث معجزة عند كل لقاء ، حتى في اللقاءات الاكثر تفاهة والاسرع انتهاء . وبالرغم من فيض في الكلمات قاطع ، فان الفضول والاستعداد يبرزان ...

ا.م. : انا ناقد سينمائي منذ عشرين عاما لان السينما تستهويني. وانا ادير مع باولو باسوليني مجلة للسينما .

ا.ك. : ومجلتك « سينما وفيلم » هي من طراز « دفاتر السينما»؟

ا.م. : نعم . فالسينما هي اميز فنون زمننا . ان عصر الكلمة ينتهي ليفسح المجال لعصر الرمز . وقد استعيض عن الكتابة بالصورة اذ اضحت الصورة كتابة . ولكن اكثر الافلام للاسف ما تزال تطمح الى تعبير ادبي اصطلاحي وتعبيرها بالرمز يبقى بدائيا جدا .

ا.ك. : العل ذلك يرجع الى ان السينما حديثة العهد بالظهور ؟

وفي حركة تفكيرية انحنى رأس البرتو مورافيا الذي يشبه رأس قرصان نحو صدره العاري الضامر الاسمر الذي يأبى ان يضيع لحظة واحدة دون الاستفادة من الشمس .

ا.م. : لقد اعطتنا الفنون البدائية روائع، ذلك انها كانت حقيقية. والسينما ليست كذلك دائما . واخشى ان الخطأ يكمن في تقييمها حسب المقاييس اللغوية ، بينما هي في الواقع طريقة سمعية ـ بصرية للتعبير . والصورة والصوت واللون والحركة تتفوق على الكلام : فهي العانية وليست المعنية . ولهذا السبب تراني لا اهتم كثيرا بمعنى الحوار في فيلم ما : فالذي يهمني هو لهجة هذا الحوار .

ربما اذا كانت لغة الفيلم لغة لا نفهمها . ولكن عندما يطمع السينمائي في ان يفرض علينا « معنى » الكلمات التي ينتقيها ، فاننا لا نستطيع الا ان نأخذ بعين الاعتبار ان الفكرة وطريقة التعبير عنها ليستا ذات قيمة كبيرة ...

لم يبد البرتو مورافيا مقتنعا بذلك . بل اصر يقول :

(1) راجع العدد ٣٧ من مجلة « لاكانزين ليتيرير » الفرنسية

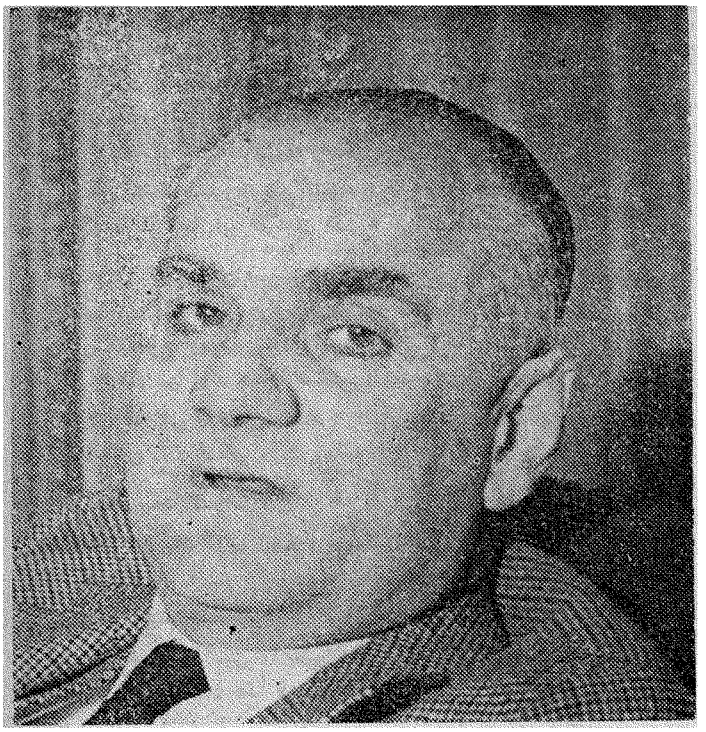

ا.م. : الكلام شيء ثانوي وانا لا اعنى الا بعلاقاته مع الصورة . وفهم هذه الاخيرة يكفيني وقوتها في الاقناع .

ـ وعندما تعتمد السينما على عمل ادبي ...

قاطعني عندئذ بصورة حاسمة :

ا.م. : انا ضد الامانة . هناك افلام اقتبست عن عدة كتب لي . وقد وجدت ان الاقل امانة كان الافضل . كانت تصبح من جديد اثارا اصيلة من غير ان ينتج عن ذلك خيانة الفكرة في اساسها . وهكذا ففيلم جان لوك غودار « الاحتقار » بعيد عن ان يكون نسخة عن كتابي ، ولكنه بروحه هو الاقرب اليه .

ـ اذا كنا نترك ، كما تعتقد ، عصر الكلمة لندخل عصر الرمز ، افلا يجب علينا ان ننتظر موت الادب قبل مضي ثلاثين الف سنة ؟

ابتسم مورافيا وشبك ساقيه ثم حلهما :

ا.م. : الادب ؟ من المحتمل الا يموت ؟ اما الرواية فنهايتها محتمة ...

ـ وانت الروائي او الذي كنت حتى الان روائيا ...

ا.م. : آه نعم !

وبعد صمت غير مفهوم ـ أسف ، أو استسلام ، أو ادراك لنسبية الاثار الانسانية ، أو بكل بساطة لا مبالاة ـ وضح البرتو مورافيا بقوله :

أ. م. : في الكتاب الذي أعمل فيه في الوقت الحاضر ـ أنا لا أعرف حتى الان عنوانه وهل هو رواية بالمعنى الصحيح ؟ ـ أحاول أنا أيضا أن أكسر طوق الزمن ، هذا الحد الذي يفرضه على السرد الروائي ، وليس ذلك على طريقة كتاب « الرواية الجديدة » ..

ـ ليس هناك طريقة واحدة فقط ...

ا.م ـ ليس هناك طريقة واحدة فقط ولكن هناك مسعى وأجد لتفجير القواعد . المهم هو الهرب من الاصطلاح الروائي . وهكذا فعندما تستعين ناتالي ساروت بطريقة لتدمير الوقت التاريخي ، انما تفعل ذلك ، شعوريا أو لا شعوريا ، بأن تحول صفحة من « الادب » الى صفحة من الشعر ، فالشعر يجهل الزمن ، يحيط به ويخرج عنه ويهزمه لجهله اياه . الشعر يزيل العقبة المتمثلة بالزمن في الرواية . ولكني لست شاعرا .

ـ اذا فيما يتعلق بكتابتك ، كيف تصل الى هذا الانقطاع مع الزمن ؟

أ. م. : بادخال الفنائية . تأرجح بين الواقعية والفنائية . الواقع ان هذه الرواية الجديدة هي بأكملها من الكلام المحكي دون اشارات حكائية ـ دون تدخل « وصفي » من المؤلف .

ـ هل عندك مشروع بعد مسرحية « العالم هو ما هو » ، التي قدمت السنة الماضية في مهرجان المسرح في البندقية ؟

ا. م. : انتهيت من مسرحية « الاله كورت » التي يخرجها لوشينو فيسكونتي . وأنا أتناول مرة أخرى كما فعل صديقي بيار باولو باسوليني موضوع أوديب . ولكن نجد « أوديبا » يمثله مساجين معسكر للاعتقال بايعاز من قائد هذا المعسكر . انه المسرح في المسرح .

ـ أي كما في « مارا ـ ساد » لبيتر فايس ، كما في «هملت» ؟

أ. م. : نعم .. ولا ... الموضوع يختلف . هو التدخل النقدي في الدراما . نقد الدراما .

ـ أي انه نقد ذاتي أيضا . وبهذا الصدد ما هو مؤلفك الذي تفضله بين نتاجك ؟

بحركة احتجاجية قال :

أ. م. : خلال اثنين وأربعين عاما من « المهنة » لم أقرأ قط أيا من كتبي . أنا لا أعلم . هذا لا أهمية له عندي . منذ « اللامبالون » ، كما قلت لك ، لم أتوقف عن الكتابة يوما واحدا الا عندما كنت مريضا أو وقت الحرب . وما أن نكتب الكتب ، حتى تصبح ملكا للذين يقرأونها . فانها لا تعود تخص المؤلف .

ـ في روايتك القادمة ، في مسرحيتك ...

أ. م. : كتابي القادم الذي سيظهر بعد عدة اسابيع ليس رواية . بل هو قصة مكوثي في الصين . وأنا الان عائد من هناك بعد أن يئست من الذهاب . فقد رفضت تأشيرة سفري في روما ثم في هونغ كونغ ، وأخيرا حصلت عليها في طوكيو . لم أذهب الى الصين الا لسبب واحد : الثورة الثقافية . الشعور الذي غمرني ؟ هو اني وجدت نفسي أمام طبقة عملاقة يقظى حتى النوم المغناطيسي تشرب الكلمات ، وكلها كلمات واحدة لاستاذ واحد لا خلاص خارجه . صحيح ان الحراس الحمر هم أطفال ، أطفال حقيقيون ، وكل اليهم مهمة العناية بالارواح . هذه هي الفكرة العبقرية : فكرة لا يمتلكها الا شاعر ، وننسى اكثر مما يجب ان الرئيس ماوتسي تونغ كان في البدء شاعرا كبيرا وانه يبقى كذلك دون شك حتى ولو رفض أن يقرأ نتاجه الادبي . فقد سحبه من السوق .

ـ وسبب هذا المنع ؟

أ. م. : هو نفس سبب الغاء « اوبرا بكين » . هو عدم الفائدة السياسية للعمل الادبي . لم يعد هنالك كتب في الصين . لم يعد هناك الا كتاب واحد : الانجيل الصغير الاحمر الذي يحمله كل صيني والذي يرجع اليه في مخلف المناسبات والذي يحفظه تقريبا عن ظهر قلب وحيث يبحث ـ وهو واثق انه سيجد ضالته ـ عن أي جواب لا يتبادر الى ذهنه ، أيا كان السؤال المطروح عليه . الصين ليست بلدا عنيفا : هي بلد يستقر في الحياة ، ولكن في حياة ترفض وتمقت مدنية الرفاهية . هنا نكمن أصالة ثورتهم . ليس ثمة أي وعد غوغائي . ولا يريد ماو وكتائبه الطفلة أن يعدوا هذا الشعب الذي يعترف بافراط بالجميل لقائده لانه أخرجه من الجوع ، كما لا يريدوا أن يعدوا هذه الكتلة البشرية التي كانت تمثل ، حسب كلام ماو ، تسعين بالمائة من سكان العالم الاميين ، لا يريدون أن يعدوها بالغنى وباليسر ، بل على العكس ، فالمثل الاعلى عندهم مثل أعلى زهدي .

ـ وهل تعتقد ان الصين كلها تذعن لامر الفقر هذا ؟

أ. م. : الشعب . الشعب الذي حاليا يعيش ، فقط ، على المعطيات الاخلاقية وعلى أوامر السلوك الواردة في كتاب يوضح كل شيء .

ـ هذا موقف صوفي . ما هي المكانة التي تعطيها الصين للحياة الخاصة ، وللعواطف ، وللاحساسات ، وللنزعات النفافية والجمالية ؟

أ. م. : لم يعد في الصين حياة خاصة أو حياة ثقافية أو حياة فنية . كل شيء قد سيس ، أي أصبح سياسيا . هل هذا سيدوم ؟ هم يعيشون في الوقت الحاضر مرحلة دعاية ، وكل فكرة وكل عمل مقود بأمر صارم . ان الصين لا تريد الحرب ، فانها لن تجني منها أية ثمار ، ولكنها مقتنعة بتفوقها السياسي على بقية شعوب العالم كلها . وهي مقتنعة بذلك لدرجة انه ليس لديها أي فضول لمعرفة ما يتم خارج حدودها . لم يطرحوا علي مرة واحدة ، سؤالا عما يجري في فرنسا وفي انكلترا وفي ايطاليا أو في أي مكان في أوروبا . فهذا لا يهمهم . عالمنا « نحن » لا يهمهم . سألوني فقط عما اذا كنا نعرف أو ندرس الكتاب الاحمر ... وعندما أكدت لهم بأن بعض المثقفين مع الصين هم الوحيدون الذين يعرفون كتابات « ماو » ، لقيت من الشفقة أكثر مما لقيت من الغضب ، ولقيت خصوصا دهشة كبيرة : كيف يمكننا العيش دون هذا الانجيل ؟ .

ـ لكن هل تتبنى تأكيد الرئيس ماو عندما يصرخ : « لا يوجد في الحقيقة ، فن للفن ولا فن فوق الطبقات ولا فن ينمو خارج السياسة أو ينمو مستقلا عنها ؟

أ. م. : لا ، أنا لا أشارك الرئيس ماو هذا اليقين . يجب الاقرار بأن الاعمال الفنية في الصين ما تزال تتعلق حاليا بالواقعية الاشتراكية مع الفرق ـ بالنسبة الى روسيا ـ بأن الثقافة الصينية ترتكز على تقاليد عريقة جدا .

هل سيكون ألبرتو مورافيا اكثر وضوحا فيكتابه القادم عنالصين ؟

صدر حديثا

حكايا الحزن

مجموعة قصص

بقلم

اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومبي » ، لقصاص اصيل هو نسيج وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي ونزعته الانسانية وروحه الالتزامية الصادقة

منشورات دار الاداب ٢٥٠ ق.ل